برنامج (قرآنهـم) - الحلقة (4) / سورة الأعراف ج (1)

السبت : 7 شهر رمضان 1438هـ الموافق : 2017/6/3م

✤ سأشرع مِن هذهِ الحلقة في الحديث في بيان ما أستطيعُ بيانه بِحسب ما يسنح به المقام ممّا جاء في مضامين سُورة الأعراف.

✤ مُلاحظات سريعة قبل أن أبدأ بقراءة آيات السورة والتوقّف عند هذه الآيات الشريفة:

■ الملاحظة (1) : ما وصل إلينا مِن الأحاديث التفسيرية عن أهل البيت "عليهم السلام" يُمكنني أن أُصنّفه على مجموعتين:

✪ المجوعة الأولى من الأحاديث: هي التي تناولت منهجيّة التفسير عند آل محمّد "صلواتُ الله عليهم" وهذا الموضوع هو الأهمّ في التفسير، لن أتناوله في هذه الحلقات، ولكنّي سأتحدّث عنه وبتفصيلٍ مُناسب في الجزء الرابع من ملف الكتاب والعترة وهو برنامج مُفصّل سيُبثُّ على هذه الشاشة تحت عنوان: "خاتمة الملف".. وسيتم الإعلان عنه في حينها عِبر شاشة القمر وعبر الانترنت.

✪ المجموعة الثانية من الأحاديث التفسيرية: فهي الأحاديث التي وردتْ في تفسير الآيات وهي على نَحوين:

● منها ما جاء بشكلٍ خاصّ لآية من الآيات القرآنية بحيث لا يُمكننا أن نَجعله قاعدةً للتفسير فيما يرتبط بآية أخرى.

● ومنها ما يُمكن أن يكون قاعدة لنفس الآية التي تحدّثتْ عنها هذه الرواية ولتفسير آياتٍ أخرى.. وهذا أيضاً سيدخلُ ضِمن دراسة منهج تفسير القرآن عند آل محمّد "صلواتُ الله عليهم" والذي سيأتي بيانه في برنامج (خاتمة الملف) إن شاء الله.

■ الملاحظة (2) : ما يُطرحُ مِن مضامين في هذا البرنامج في تفسير آيات الكتاب الكريمة هو مُحاولة للاقتراب ممّا جاء في تفسير آل محمّد "عليهم السلام".. يُمكنني أن أقول أنّه تفسيرٌ في مُستوى العبارة، ولكن في بعض الأحيان قد أتجاوز العبارة وأتشبّثُ بأذيال الإشارة مُستعيناً بما جاء عنهم مِن روايات "صلواتُ الله عليهم".. كما قال صادق العترة "صلوات الله عليه": (إنَّ كتاب الله عزَّ وجلَّ على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء)

■ الملاحظة (3) : إذا رجعنا إلى جوامع الأحاديث التفسيرية فإنّنا لن نَجد روايات تُفسّر كُلّ آية مِن آيات الكتاب الكريم، وهذا لا يعني أنّ الأئمة لم يتحدّثوا عن تلكم الآيات التي لا نَملكُ الآن أحاديث خاصّة بخصوص بيان مضمونها.. ولكن الأحاديث ضاعت، وجوامع الأحاديث التفسيريّة تعرّضت للتحريف المُتعمّد والتصحيف الغَير مُتعمّد.

ورغم ذلك.. فهذا لا يعني أنّنا لا نستطيع أن نتحدّث عن بقيّة الآيات التي لَم تَرِد رواية بِخصوصها، لأنّنا حين نتحدّث عن مَنهجيّة وردت في أحاديث العترة وعن قوانين وقواعد للتفسير ثُمّ نجد مجموعة كبيرة من الأحاديث هي بِمثابة تطبيقٍ علمي وعملي في تفسير الكتاب الكريم وفقاً لتلك المنهجيّة التي تحدّثتْ عنها مجموعة الأحاديث التفسيرية التي تناولت المنهج والتي أشرتُ إليها..

ووفقاً لمنهجية (لحن القول) فإنّ أهل البيت قد بيّنوا لنا الكثير والكثير من مَضامين القرآن في أدعيتهم الشريفة وفي زياراتهم وفي خُطَبِهم وفي كلماتهم القصيرة والمُطوّلة، فضْلاً عن كمٍ هائل من الأسئلة التي أجابوا عنها حين كانت الشيعة تسأل عن معاني الآيات الكريمة.

✤ (سورة الأعراف)

■ السورة تعني : المُسوّرة.. فحين نقول هذه أرضٌ مُسوّرة، فهي أرضٌ واضحة الحدود سُيّجتْ بِسياج يُسمّى هذا السِياج بالسُور.. فقِيل (سُورة الحمد، سُورة البقرة،... وهكذا).. السورة هي قِطعة مِن القرآن لها بدايتُها ولها نِهايتُها وتشتمل على مَنظومة مِن المعلومات والمعارف والمُعطيات قد نُسجِتْ في نظام هندسي مُعيّن جُعِل تحت هذا العنوان: (سُورة البقرة، سورة الأعراف،...)

■ أمّا الأعراف فهو عنوان مأخوذ من داخل السُورة الشريفة.. وتحديداً من الآية 46 من سورة الأعراف قوله تعالى: {وبينهما حِجابٌ وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كُلّاً بسيماهم...}

الأعراف مَنزل وموقف مِن مواقف الآخرة.. ومُصطَلحٌ وعنوانٌ له دلالات عديدة سيأتي الحديث عنه حِينما نصِل إلى تلك الآيات.

● المُسوّرة لابُدّ لها مِن باب.. وبابُ الولوج لِهذه المُسوّرة هو: "بسم الله الرحمن الرحيم"

البسملة هي البوّابة التي مِن خلالها نَدخل لِمُسوّرات القرآن.

● في كلمات أهل البيت "عليهم السلام" البسملة هي أقربُ إلى الإسم الأعظم مِن سواد العَين إلى بياضها.. (وقفة لبيان هذا المعنى) وقطعاً لا أستطيعُ أن أتحدّث عن كلّ التفاصيل في هذا الوقت الضيّق.. هذا أوّلاً.

وثانياً: مهما علمتُ، ومهما تدبّرتُ، ومهما تفكّرتُ فإنّ ذهني سَيصِلُ إلى حدٍّ مُعيّن ويَقِف.. والقرآن كما وصفه سيّد الأوصياء (ظاهره أنيق وباطنه عميق) وذاك الباطن العميق لن أستطيع أن أوغلَ فيه.. فما نمتلكه من الوسائل المعرفيّة يَجعلنا نتحرّك عند شواطىء هذا العُمق.

نَحنُ نُمعنُ النظر إلى حُسن ظاهره وإلى أناقةِ مَظهره.. نحن نتحرّك في أجواء هذه الأناقة.

● (وقفة عند مثال يُقرّب المعنى المُراد مِن أنّ البسملة هي أقربُ إلى الإسم الأعظم مِن سواد العَين إلى بياضها)

■ شعار الله في قرآنه هو: "بسم الله الرحمن الرحيم" السملة هي الرمز والشِعار الأقرب للإسم الأعظم.. فما مِن مُسوّرة في القرآن، إلّا وهذا الشِعار وهو "البسملة" يكون بوّابة مِن خلالها نَدخل إلى المُسوّرة.

ومن هُنا ورد في أحكامنا الشرعيّة في الصلاة أنّ علينا أنّ نُشخّص البسملة بالنيّة لأيّ سورة عند قرائتها في الصلاة.. وإلّا فَمِن دون تشخيصها فَلن تكون البسملة آيةً مِن السُورة التي قرأناها في الصلاة.. ستكونُ ذِكراً فقط.

إذا لم نُشخّص البسملة بالنيّة فإنّنا سنقرأ بسملة لا علاقة لها بتلك السورة التي قرأناها!

هذه الأحكام تُشير إلى أنّ البسملة في أوّل كُلّ سُورة هي بوّابة خاصّة بِتلك السُورة، فليستْ القضيّة هكذا للبركة كما يتصوّر البعض.

في القرآن أسرار قد لا نتلمّسها.ـ ولكن قد نتلمّس الإشارة إليها مِن خلال بياناتهم "صلواتُ الله عليهم".

● "بسم الله الرحمن الرحيم" هي شِعارٌ، رَمزٌ، إشارةٌ تُشيرُ إلى الإسم الأعظم الذي تجلّت من الأسماء الحُسنى التي هي السَبب في كلّ شيء حولنا (السبب في وجودنا، والسببُ في كلّ شيء حولنا..)

فما من شيءٍ في هذا الوجود إلّا ومَنابِعهُ الأصليّة هي: الأسماء الحُسنى.

والأسماء الحُسنى تجلّتْ مِن الإسم الأعظم الأعظم الذي خَلَقهُ تعالى فاستقرّ في ظِلّهِ، فلا يَخرجُ مِنهُ إلى غَيره.. وهذه المضامين واضحة في الروايات، والأدعية والزيارات.

كقول سيّد الأوصياء "صلوات الله عليه":

(ما رأيتُ شيئاً إلّا ورأيتُ الله قَبْلَه وبَعْدَه ومعهُ وفيه)

● لفظ الجلالة (الله) يُشير هذا اللّفظ إلى الإسم الأعظم الأعظم الأعظم.. اسم الله ليس لفظ، وإنّما حقيقةٌ مَخلوقة.. ولفظ الجلالة (الله) هو مَخلوق أيضاً، ولكنّه مَخلوق في أدنى مراتب الخَلْق.. أمّا أعلى مراتب الخَلْق فهو الإسم الأعظم الأعظم الذي خَلَقه تعالى فاستقّر في ظِلّه.. ولِعظمتهِ لا يَخرجُ مِنه إلى غيره.. هذا هو اسم الله.. أمّا الألفاظ فهي إشارات تُشير إلى (اسم الله).. والبسملة قبل السُورة تُشير إلى هذا المَضمون.. فالبَسملة أقرب إلى الإسم الأعظم مِن سواد العَين إلى بياضها.

والإسم الأعظم بِرموزهِ وإشاراتهِ مُنتشرٌ في القرآن مِن أوّلهِ إلى آخره.. فالبَسملة تُشير إلى وُجود الإسم الأعظم قَبْل المُسوّرة، وبَعد هذهِ المُسوّرة، ومع هذهِ المُسوّرة، وفيها.. وأعني بالمُسوّرة أي كينونةِ هذه السُورة.

■ بعد البسملة نقرأ (ألَمص) هذه الرموز وردت في الروايات أنّها هي الأخرى لها عُلقة بالإسم الأعظم.

(وقفة موجزة وسريعة عند هذا الرمز "ألمص" ما يُصطلحُ عليه بالحُروف المُقطّعات). اشتملت الوقفة على الإشارة لِلسُوَر التي تبتدأ بِحروف مُقطّعة في القرآن.. وعدد السُور التي تبدأ بحرف، والسور التي تبدأ بحرفين، وثلاثة أحرف، وأربعة أحرف، وخمسة أحرف.. مع ذكر أسمائها.

■ سورة الأعراف هي إحدى السُوَر الأربعة التي ابتدأت بِمُطوّلات الحروف المُقطّعة.. حيثُ بدأت بـ"أربعة أحرف".. وقطعاً هناك تناسق بين هذه المُقطّعات مِن الحروف.. (وقفة عند هذا التقطيع القرآني في سُورة الأعراف).

■ وقفة عند دلالة هذه الحروف المُقطّعة (سواء في سُورة الأعراف أو بقيّة السُوَر).

إن كُنت أتحدّث عن تلك الجهة العميقة التي أشار لها سيّد الأوصياء "عليه السلام" مِن أنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق.. فإنّني لا أعرف شيئاً عن ذلك، ولكن أتلمّس معنىً إجمالي مِن كلماتهم الشريفة أنّ هذه الحروف هي خُزانة أسرار القرآن.

الحكمة من وضع هذه الرموز في القرآن هي أنّ الأمّة يُريدون منّا أن نَعي هذه الحقيقة وهي: أنّ القرآن لا يَفهمهُ إلّا مَن خُوطِبَ به.. وقد بيّن رسول الله هذه الحقيقة بإسلوب أعرضتْ عنه الأمّة وهو حِين بيّن هذه الحقيقة في حديث الثقلين وقرن بين مُسبّحتيه. (فهذا بيان واضح من سيّد الأنبياء، ولكنّ الأمّة "سُنّة وشيعة" أعرضوا عن هذه الحقيقة كُلٌ بحسبه وبأسلوبه!)

● هذهِ الرموز تصكّ كُلّ عقول المُفسّرين، يقفون عندها حيرى.. إذا كان هذا القرآن قد أُنزل للأمّة كي تفهم الأُمّة حقائقه، فلماذا هذه الرموز؟ هل الأمّة قادرة على فهم القرآن؟ ما معنى هذه الرموز؟! (الجميع سُنّة وشيعة يتخبّطون فيها)!

● حينما تأتي الأمّة وتُريد أن تَفهم القرآن فإنّها لا تفهم هذه الرموز.. وإذا لم تفهم الأمّة كُلّ المُعطيات فسيكون فَهْمُها ناقصاً.. هذا على فَرض أنّها فهِمتْ المُعطيات الأُخرى!

هناك يقين على أنّ الأمّة لا تعرف دلالة هذه الرموز وإنْ قالوا ما قالوا فيها.

● آل مُحمّد "صلوات الله عليهم" حدّثونا عن هذه الرموز، ولكنّهم حدّثونا حديثاً يُقرّب الفِكرة إلى عقولنا فقط.. (وسآتيكم بأمثلة ممّا ولكنّ الحقيقة قطعاً وراء ذلك)

■ نماذج مِن كلمات المعصومين "صلوات الله عليهم" التي حدّثتنا وفقاً لقانون المُداراة.. ورُغم أنّها جاءت بقانون المُداراة إلّا أنّ الإنسان يُمكن أن يستشفّ من خلالها أنّنا أمام خزانةٍ مِن الأسرار.

● وقفة عند حديث الإمام الصادق في [تفسير البرهان: ج3] في معنى (ألمص) يقول "عليه السلام":

(ألمص) معناه أنا اللهُ المُقتدر الصادق.

إذا كان الله تعالى يُريد أن يقول هذا، فبالإمكان أن يقول هذا مثل ما قال: "بسم الله الرحمن الرحيم" ولكن كما قال الإمام الصادق "عليه السلام": (معناهُ) فهي ليس ليستْ كبقيّة ألفاظ اللّغة بحيث يكون لها معنى واشتقاقات.. إنّها رمز..

الإمام هنا يتحدّث عن معنى الرمز، والرمز ليس لفظ يدلّ على معناه بحسب السياقات اللّغوية.

حين نقرأ (ألمص) لُغةً لا نستطيعُ أن نتحسّس هذا المعنى: أنا الله المُقتدر الصادق.. ولِذا الإمام قال: معناه، فهذه إشارةٌ ورمزيةٌ واضحة

وهكذا بقيّة الحروف المُقطّعة، وردتْ روايات وأحاديث تُبيّن معناها بنفس هذا الأسلوب.

● وقفة عند مقطع من خُطبة البيان لسيّد الأوصياء في كتاب [إلزام الناصب: ج2]

يقول سيّد الأوصياء وهو يُعدّد جانباً مِن مَقاماتهِ وحالاتهِ وعلاماتهِ، فيقول في جُملة ما قاله: (أنا كهيعص).. وهذا ينطبق على سائر الحروف المُقطّعة الأخرى

فالصاد موجودٌ في الحُروف المُقطّعة في سُورة الأعراف، والحديث في أجواء الرموز والإشارة.

مثلما جاء أنّ (ألمص) : معناه أنا الله المُقتدر الصادق.. فهذا المضمون هو نفسه الذي قاله سيّد الأوصياء: (أنا كهيعص) يعني أنّ سيّد الأوصياء هو أيضاً: (ألمص). مثلما هو أيضاً: (يس).

● حتّى في البُعد الحرفي (وهو بُعد سَطحي جدّاً) فهذه الحروف المُقطّعة إذا ما حذفنا المُتشابهات منها فإنّ الحروف الباقية يُمكن أن تتشكّل منها جملة: (صِراطُ عليّ حقٌّ نُمسِكهُ) وهذا حديثٌ في الجوّ السطحي.

● على سبيل المثال: مِثلما جاء في خُطبة البيان قول الأمير (أنا كهيعص) جاء عن إمام زماننا (أنّ الكاف كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يَزيد ظالم الحسين، العين عطش الحسين، والصاد صَبر الحين). وتلك إشارة لِجانب مِن مضمونها.

هذه الإشارات والرموز مرّة تأتي بهذا العنوان: "أنا الله المُقتدر الصادق"، ومرّة تأتي تُشير إلى حقيقةِ عليّ، ومرّة تأتي وتتحدّث عن حسين، ومرّة تأتي تتحدّث عن إمام زماننا.

● وقفة عند رواية الإمام "عليه السلام" في [تفسير القرآن: ج7] معنى الرمز القرآني في بداية سُورة الشورى (حم*عسق) يقول:

("حم* عسق": هو حرفٌ مِن اسم الله الأعظم المقطوع يُؤلّفه الرسول والإمام) هذه جهة من الجهات الرمزية.

هذا ظهور لفظي مِن ظهورات الإسم الأعظم، وإلّا فالإسم الأعظم ليس مَقطوعاً في حقيقتهِ، فهو مُتّصلٌ بالله تعالى (الذي خَلَقتَهُ فاستقرّ في ظِلّك..) فما هو بِمقطوع، الحديث عن الإسم المقطوع هنا هو حديثٌ عن الألفاظ وليس عن حقيقة الإسم الأعظم.

● وقفة عند رواية أخرى للإمام الصادق "عليه السلام" جاء فيها: ("حم*عسق" عدد سِنيّ القائم، و"قاف" جبلٌ محيطٌ بالدنيا مِن زمرّدٍ أخضر، فخُضْرة السماء مِن ذلكَ الجبل، وعِلْم عليّ كلّه في حمعسق) إمّا أن يكون المراد مِن عدد سِنيّه أي عدد السنين من ولادته إلى نهاية عصره، ويُمكن أن يكون وهو الأقرب هو عدد سنّي دولته وحُكمه

● قول الإمام (عِلْم عليّ كلّه في حمعسق) هذهِ الخزانة التي أشرتُ إليها.. أنّ هذهِ الحروف هي شفرةٌ و رمزٌ لِخزانة لا ندري أين هي.. ولكنّنا نُشير إليها.. فهذه الخزانة في حقيقتها: المعصوم "صلوات الله عليه".

هذه الخزانة هي التي تحدّثت عنها سُورة يس، فقالت: {وكلُ شيء أحصيناهُ في إمامٍ مُبين} هذه الخزانة المُطلقة.. وهذه رموز ومفاتيح، وعِلْمُ كلّ شيء في (عسق)

● وقفة عند رواية الإمام الباقر في [تأويل الآيات] جاء فيها:

("حم" حتمٌ و"عين" عذاب، و"سين" سنون كسنيّ يُوسف، و"قاف" قذفٌ وخسْفٌ ومَسْخ يكون في آخر الزمان للسُفياني وأصحابه...)

تلاحظون أنّ الرواية كلّها رموز ورموز ورموز وإشارات.. ألستُ مُحقّاً حين قُلت أنّي لا أعرف حقيقتها..؟!

✤ مثلما أنّنا لا نَعرفُ شيئاً عن (ألمص) فإنّنا لا نعرفُ شيئاً عن حقيقة القرآن.

هذهِ المنظومة البلاغية والمَعرفيّة الهائلة (ظاهرها أنيق، وبطِنها عميق) كما يقول عليٌ "صلوات الله عليه".
وبأيّ حساب تُريد أن تَزن هذا الكلام..؟
أقلُّ مُستوىً يُمكن أن أتصوّر فيه عليّاً "صلوات الله عليه" هو أنّه خبيرٌ بهذا الكتاب.. فهل يستطيع أحدٌ مِن أعدائهِ أن يتصوّر فيه شيءٌ غير ذلك؟!
بعيداً عن كُلّ مقاماتهِ، وبعيداً عن الكُنه الغَيبي لعليّ، وبعيداً عن كلّ المعاني.. فعليٌ صاحب البيان البليغ كلماتُه بين أيدينا، تُخبرنا أنّه أخبرُ الخُبراء في البلاغة والفصاحة..
فلو أخذتُ القرآن بهذا اللّحاظ (أنّه بناء أدبي)، وأخذنا كلامَ عليّ بهذا التصوّر: أنّ علياً خبير، وهو أخبرُ الخُبراء بالبلاغة والفصاحة.. فهو خبيرٌ بكتاب الله.
فهذا عليٌ سيّد البلاغة والفصاحة يقول: "أنّ هذا الكتاب ظاهرهُ أنيق وباطنه عميق".. فنحنُ لا نستطيع أن نتلمّس عُمق القرآن حتّى بهذا المُستوى..
فما بالك وهذا عليٌ الذي هو عليّ يقول عن القرآن "ظاهره أنيق وباطنه عميق".. أنّى لنا أن نغور في ذلك العُمق..؟ ولِذلك لا يُوجد طريق آخر إذا أردنا أن نفهم القرآن إلّا طريقهم "صلوات الله عليهم"..

■ أ تعلمون أنّ "الأعراف" هو من أسماء آل محمّد؟ أ تعلمون مِن أسماء عليّ؟
سُورة الأعراف معناها عند آل محمّد: "سُورة عليّ وآل عليّ".
القرآن كلّه عليّ.
فحروفُ القرآن عليّ، وآياتُ القرآن عليّ، والقرآن كلّه عليّ.. في ظاهره الصامت يُشير إلى عليّ، والقرآن الناطق قطعاً هو عليٌ ولا شيء وراء ذلك.

■ "بسم الله" اسم الله : عليّ
(الباء) حرف جرّ، و(اسم) مجرور بالباء.. والجار والمَجرور يحتاجان إلى عامل (إلى فعل) يتعلّقان به .. وهذا العامل هو فعل مُقدّر تقديره هكذا: (إنّني أفتتِحُ هذه السُورة بإسم الله) واسم الله الأعظم : عليٌ.
وحين أشار في كلماتهِ مِن أنّه النقطة.. كلّ شيء عليٌ (النقطة، الباء، البسملة، الأعراف بكلّها، الحقيقة بكلّها).

■ (ألمص) رمزٌ، وإشارةٌ إلى عنوان كبير يُشير مِن بعيد إلى خزانةٍ عظيمة أحصى الله فيها كلّ شيء {وكلّ شيء أحصيناه في إمام مُبين}.
أنت يا عليّ الحقيقة الجامعة وما هذه الرموز إلّا إشارت تُشير إليك.

■ قول الله تعالى: {كتابٌ أُنزلَ إليكَ فلا يكن في صدركَ حرجٌ منهُ لتنذرَ به وذكرى للمُؤمنين}
الخطابات التي هي لسيّد الأنبياء والخطابات التي وردتْ لآلهِ الأطهار.. هذه الخِطابات جاءت بِحسب قانون بيّنه لنا المعصومون: "إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة"
لأنّنا لا نستطيع أن نتصوّر حَرَجاً في صدر مُحمّد.

■ هذا الخِطاب في بُنيتهِ اللّفظية لِمحمّد، أمّا في مَضمونهِ فهو للأُمّة.
الحروف المُقطّعة بداية سُورة الأعراف هي مُبتدأ.. والآية التي بعدها تُمثّل الخَبر لذلك المُبتدأ.
فقوله تعالى: {كتابٌ أُنزلَ إليكَ} هذه الآية إذا كانت مَقطوعة ممّا قبلها سيبقى الكلامُ ناقصاً.. فهي خبر.

- الحرج : هو الضيق.. والضيق يأتي مِن عِظَمِ ما جاء من تفاصيل في هذا الكتاب.
- (ألمص) هذه الخزانة الكبيرة التي تشتمل على كُلّ الأسرار التي أُشير إلى عناوينها.
- (المؤمنون) هذه المضامين تكون ذكرى لهم.. وتعبير (ذِكرى) يعني أنّهم يَعرفونها.. بينما المجموعة الأخرى التي ذُكرت في الآية غير المؤمنين الآية قالت عنهم: لِتُنذِر بهِ.

الإنذار هو إخبارٌ عن شيءٍ يُتوقّع أن يَحدث ولا يملك الذين يُنذرون بذلك الشي علماً عن ذلك الشيء.. فالإنذار هو إخبارٌ على عَجَلة وسُرعة وشدّة؛ لأنّ القوم الذين يُنذرون جاهلون بالذي سيحدث، فلابُدّ مِن هزّتهم حتّى يلتفتوا لِهذا الانذار!
أمّا المؤمنون فجاء التعبير في الآية أنّ هذا الأمر سكون ذِكرى لهم.

■ سؤال: هل أنّ المؤمنين على علم حقيقي بِما في هذهِ الخِزانة مِن أسرار؟ خزانة (ألمص)؟
لابُدّ من وجود مجموعة - وهي قليلة - للمؤمنين ربّما نجد لها مِثال في كلمات أهل البيت "عليهم السلام" حِين يتحدّثون عن سلمان..
فقد ورد في الروايات أنّ سُلمان حاز العلم الأوّل والآخر.. (العلم الأوّل والآخر موجود في هذه الخزانة).

قطعاً ما يتجلّى لِهؤلاء المؤمنين يكون بِحسبهم.. أمّا نَحنُ وغيرنا فإنّنا نُنذَر بِهذهِ الحقائق لأنّنا لا نملكُ علماً، ولكن سلمان وأمثال سلمان الذين لا وجود لهم في هذا الزمان تكون هذهِ الحقائق ذكرى لهم لأنّهم على علم مُسبَقٍ بذلك.

هذه الآية {كتابٌ أُنزلَ إليكَ فلا يكن في صدركَ حرجٌ منهُ لتنذرَ به وذكرى للمُؤمنين} تُريد أن تقول: أنّ هذه المضامين والأسرار التي وراء هذا الإنذار لو علمتم بها لسبّبتْ لكم حَرجاً وضِيقاً في صُدوركم!

هذا الحرج ينشأ مِن عِظَم هذه المعلومات، وينشأ مِن عِظَم التكليف بها، وينشأ مِن عِظَم الآثار المُترتّبة على التبليغ بها والصدع بها.

لِذا تأتي الآية التي بعدها فتقول: {اتّبعوا ما أُنزل إليكم مِن ربّكم ولا تتّبعوا مِن دُونه أولياء قليلاً ما تذكرون}

الخطاب هنا ليس لرسول الله..

هذه الانتقالة مِن الخطاب مع رسول الله، لأنّ الخطاب مع رسول الله كان في أجواء الغَيب وفي مضمونه للأمة، وهذا المعنى لن ينسجم بشكل واضح وصريح إلّا أن يكون الخطاب لرسول الله لأنّه هو الذي يرتبط بالغَيب ظاهراً وباطناً.

● هناك انقطاعات واضحة فيما بين الآيات القرآنية.. وبعبارة أخرى: فإنّ تطبيق قانون وحدة السياق على الآيات القرآنية لا ينجح أبداً.

وهذا هو الذي قاله أهل البيت في حديثهم في منهج التفسير: (أبعد شيء عن عقول الرجال هو القرآن فإنّ الآية يكون أوّلها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء) هذا حديثٌ عن هدم وحدة السياق حتّى في الآية الواحدة

علماً أنّي لا أريد أن أُلغي وحدة السياق في التعابير القرآنية، ولكن هذا الأمر لابُدّ أن يُؤخذ بعين الاعتبار بحسب القواعد التي بُيّنت في أحاديثهم الشريفة وبِحسب الواقع.. فإنّ وحدة السياق تتقطّع دائماً على طول القرآن مِن أوّله إلى آخره.

هناك وحدة سياق في بعض المقاطع القرآنية.. ولكن في عديد من القَصص القرآني نفتقد وحدة السياق حتّى في نفس القصّة، ولا تتضح الصورة إلى بالرجوع إلى حديثهم الشريف.

■ هناك حقيقةٌ لابُدّ مِن الإشارة إليها وهي: أنّ الآيات القرآنية في بعض الأحيان تُمازج بين ما يجري في هذا العالم وما يجري فيما وراء هذا العالم.

فإذا استمرّ النظر لِهذه الآيات سنجد أنّ الآيات الكريمة ترسم لنا صورة تتمازج فيها الصورة في هذا العالم مع الصورة في عالم آخر!

■ قوله تعالى: {اتّبعوا ما أُنزلَ إليكم مِن ربّكم ولا تتّبعوا مِن دُونه أولياء قليلاً ما تذكرون}

هذا المضمون يتكرّر دائماً.. هناك ولايةٌ لله وهناك ولايةٌ لِغيره، والقرآن مِن أوّله إلى آخرهِ يتحدّث في الولاية هذهِ.

البراءة على طول القرآن الكريم واضحة، ولكنَّ البراءة في ثقافة العترة ليستْ مطلوبةٌ بنفسها.. البراءة في ثقافة أهل البيت مُقدّمة للولاية.

■ في سورة الكهف آية 44، قوله تعالى: {هُنالكَ الولايةُ للهِ الحقّ هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقبا} حقيقةُ كلّ كينونةٍ هُنا

هذه الآية تختصر لنا الحكاية، الحقيقة

وهي جوابٌ لِما جاء في أحاديثا الشريفة: (رحِمَ الله امرئً عرف مِن أين وإلى أين)

وراء كلّ شيء الولاية لله الحقّ.

لو رجعنا للروايات سنجدها تُفسّر الآية في عليّ.

{هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقبا} الجوهر هُنا.. العاقبة هُنا..

القرآن بناؤه الهندسي العقائدي على هذا العنوان: "الولاية"

وحديثُ سلسلة الذهب للإمام الرضا يَختصرُ هذا المعنى فالإمام صوّره بِصيغتين لفظيّتين، الأولى: (لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمِنَ مِن عذابي)، و (ولايةُ عليّ بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمِنَ مِن عذابي) لأنّ حقيقة التوحيد هي الولاية.

- فالقرآن مِن أوّله إلى آخره حجرُ الزاوية فيه: الولاية،
- جوهر وجوده: الولاية،
- ظاهره الأنيق وباطنه العميق: الولاية،
- حدوده ومطالعهُ ومجاريه: الولاية
- مُحكماتُ القرآن، لطائف القرآن، حقائق القرآن: الولاية
- فالبناء الفكري والحقيقي في كلّ القرآن من أوّله إلى آخره: الولاية

وهذا هو معنى (القرآن مع عليّ وعليّ مع القرآن) هذا هو معنى (كتابٌ صامت وكتابٌ ناطق)

هذه هي الحقيقة التي تتجلّى في كلّ جهات الوجود القرآني.. وهذه الآية في هذا السياق.

- في زيارة الصدّيقة نقرأ هذه العبارات: (وزعمنا أنّا لكِ أولياء ومُصدّقون وصابرون لكلّ ما أتانا بهِ أبوكِ وأتى بهِ وصيّه...)
فما أُنزِل إلينا مِن ربّنا أتانا بهِ محمّدٌ وأتانا به وصيّه.
- قول الآية {ولا تتّبعوا مِن دُونه أولياء} هناك جهة محمّد وعليّ وهناك جهات أخرى.. وهذا التعبير {ولا تتّبعوا} يشمل حتّى عقولكم، لا تتبّعوا حتّى عقولكم إذا ما أرادت أن تتحرّك خارج فناء محمّد وعليّ.

عليٌّ هو الباب وهو المفتاح (ذُروة الأمر وسِنامه ومِفتاحه وبابُ الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته) كما في [الكافي الشريف: ج]

فالبسملة هي باب الأعراف، ومفتاحُ البسملة الباء ومفتاح الباء النقطة والنقطةُ عليّ.